مجلّة الذخيرة للبحوث و الدراسات الإسلامية / المجلد الثالث العدد الثاني ( ديسمبر 2019 م )
قسم العلوم الإسلامية / جامعة غرداية / الجزائر
E-ISSN: 2588-1728 / P-ISSN: 2602-7518
http://eddakhira.univ-ghardaia.dz

# الاختلاف العقدي وأثره في اختلاف المفسرين

الباحث في الدكتوراه : موسى شواش
جامعة ابن طفيل/القنيطرة/المملكة المغربية
moussa12saad@gmail.com

## ملخص

لما كان التفسير من أجل العلوم وأشرفها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وعلم التفسير إنما يتعلق بكتاب الله تعالى و تأويله، اهتم العلماء قديما و حديثا بهذا العلم ، فتعددت مناهجهم في التفسير و ذلك بتعدد مشاربهم، و هذا المقال يسلط الضوء على مسألة من المسائل المتعلقة بهذا العلم، والتي كان لها الأثر السيء على تفسير كتاب الله تعالى، وهي تأثير الجانب العقدي على ظهور الاختلاف بين المفسرين، حيث يحاول إبراز أن الجانب العقدي كان له الأثر البالغ في وقوع الاختلاف المذموم في التفسير، مع بيان أنواع الاختلاف في التفسير وموقف العلماء منها، وكذا الأسباب التي أدت إلى وقوع الاختلاف المذموم، وبعض نماذجه من كتب التفسير، سائلين الله سبحانه وتعالى التوفيق و السداد و الهدى و الرشاد.

**الكلمات المفاتيح**: التفسير – كتاب الله – العقيدة – الاختلاف – الفرق .

## Abstract

Conventionally, science of interpretation of Coran has had a high statues among scholars. The science of interpretation is concerned with the holy Coran and its interpretation. Ancient and modern scholars greatly interested and immersed in this noble science. Thus, their methodologies and recourses enormously vary. This article will shed light on a relevant and crucial issue that has a negative influence on the interpretation of the holy book, Coran . This debatable issue affects the nodal side that causes the emergence of the differences between interpreters. This article also tries to display that the nodal side has a significant effect on the occurrence of divergent differences. Moreover, the article shows different types of interpretations as well as the position of the scholars. This paper will discuss that factors that lead to the scholars disagreement. Eventually, in the few coming paragraphs will show some models of books of interpretation. Asking God Almighty to his guidance, glory and success

**Keywords**: nodal - interpretation - scholars - difference - science

**مقدمة:**

إن الاختلاف في التفسير لا يعدو أن يكون إما اختلافا محمودا أو اختلافا مذموما ،فالاختلاف في التفسير المحمود: ما نتج عن اجتهاد في الرأي، مستندا على قواعد الشرع، وهذا النوع من الاختلاف قبله علماء السلف والخلف ، بل رأوا هذا النوع من الخلاف رحمة بهذه الأمة، لما في ذلك من الرخص والتيسير، قال محمد بن القاسم: ((لقد نفع الله باختلاف أصحاب رسول الله ﷺفي العمل لا يعمل بعمل رجل منهم إلا رأى أنه في سعة ))، وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: (( ما أحب أن أصحاب محمد ﷺلا يختلفون ، لأنه لو كان قولا واحدا لكان الناس في ضيق ، و إنهم أئمة يقتدى بهم ، فلو أخذ الرجل بقول أحدهم كان في سعة ))[1]

فالاختلاف الذي وقع بين الصحابة والتابعين كما يقول عنه السيوطي: ((أن معظمه يرجع إلى اختلاف عبارة وتنوع، لا اختلاف تناقض وتضاد، فما كان من هذا القبيل فالجمع بينه سهل ميسور))[2].

أما الاختلاف المذموم في التفسير فهو اختلاف ناتج إما عن:

- شهوة في نفس المخالف يريد إدخال شيء في الدين ليس منه، ويريد الطعن في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، لأن الطعن في كتاب الله وتحريف معانيه، طعن في الدين، وإخراج لهذه الأمة عن المنهج الذي ارتضاه الله لها.
- و إما يكون هذا الخلاف ناتج عن شبهة علقة بذهن للمفسر، فخالف بقوله القول الصحيح من أقوال المفسرين.

وهذه الأقوال الشاذة من أقوال المفسرين كانت محط تمحيص ونقد من قبل علماء الأمة قديما وحديثا، وقال القرطبي –رحمه الله– في التحذير من أهل البدع والأهواء وبيان خطورتهم، نقلاً عن ابن خويز منداد: (مَنْ خاض في آيات الله تركت مجالسته وهجر، مؤمناً كان أو كافراً، قال: وكذلك منع أصحابنا الدخول إلى أرض العدو

1 .جامع بيان العلم و فضله، ج2–ص:98.

2 .الاتقان في علوم القرآن، ج: 2 – ص:179.

ودخول كنائسهم والبيع ، ومجالسة الكفار وأهل البدع، وألا تُعتقد مودتهم، ولا يسمع كلامهم ولا مناظرتهم)[1].

وقد كان للاختلاف في الجانب العقدي الأثر الكبير في ظهور الاختلاف المذموم في التفسير، فالمبتدع يحاول الترويج لمذهبه إما من خلال لي أعناق النصوص، وحمل معانيها على ما لا تحتمله، وإذا لم تسعفه نصوص الوحيين على الانتصار لمذهبه، يلجأ إلى الأحاديث الموضوعة أو الإسرائيليات، باعتبارها المرتع الخصب لأهل الفرق والبدع لنشر ضلالاتهم، والترويج لمعتقداتهم الفاسدة.

وقد قسمت هذا البحث إلى العناصر التالية:

- ✓ المبحث الأول: أنواع الاختلاف:
- ✓ المبحث الثاني: أسباب الاختلاف في التفسير
- ✓ المبحث الثالث: أثر الاختلاف في العقائد في التفسير:

## المبحث الأول: أنواع الاختلاف:

1- تعريف الاختلاف: الاختلاف في اللغة: من اختلف، ضد اتفق.

ومنه الحديث: "سووا صفوفكم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم" أي: إذا تقدم بعضهم على بعض في الصفوف تأثرت قلوبهم، ونشأ بينهم اختلاف في الألفة والمودة[2].

والاختلاف في الدين: هو التجاذب فيه بالأقوال والأفعال، والمراد به هنا: ما انتهى إلى الخصومة والعداوة والتنازع.[3]

1 - تفسير القرطبي ،ج:7- ص:13 .

2 - القاموس المحيط للفيروز آبادي مادة " خ ل ف " ،ج:2/ص:378.

3 - الاختلاف في أصول الدين .د إبراهيم بن محمد بن عبدالله البريكان،ص:3

والاختلاف في الغرائز والملكات الإنسانية أمر طبيعي في بني آدم لاختلاف الطبائع والمشارب، قال اللهﷻ: ((وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ))[1]

2- **أنواع الاختلاف**: الاختلاف منه ما هو مقبول ومنه ما هو مذموم منهي عنه، يقول الشافعي رحمه الله تعالى: "الاختلاف من وجهين: أحدهما محرم، ولا أقول ذلك في الآخر".[2]

ولهذا يمكن تقسيم الخلاف إلى قسمين: خلاف سائغ مقبول وهو الخلاف المحمود، وخلاف مذموم وهو الخلاف المنهي عنه.

أ- **الخلاف المحمود**: وهو الخلاف الذي يجري في مورد الاجتهاد، وهي كل ما لم يقم عليه دليل قاطع من نص صحيح أو إجماع صريح ، وتكون أيضا في المتشابه الذي يقبل تعدد الأفهام والتفسيرات، ويكون ذلك في الفروع ، دون الأصول ، وفي الجزئيات دون الكليات.[3]

يقول الشاطبي رحمه الله: " فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار، ومجالا للظنون ، وقد ثبت عند النظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول ، وفي الجزئيات دون الكليات، فلذلك لا يضر هذا الاختلاف".[4]

ويقول الشافعي رحمه الله: " وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويُدرك قياسا ، فذهب المتأول أو القَايس إلى معنى يحتمله الخبر ، أو القياس وإن خالفه فيه غيره، لم أقل يُضيق عليه ضيق الخلاف في المنصوص".[5]

---

1 - سورة: هود، الآيتان: 118.119،

2- الرسالة للشافعي .ص:560.

3 - فقه الاختلاف . مجدي القاسم، ص16:

4 - الاعتصام . ج:2-ص:168.

5- الرسالة .ص :560 .

وهذا النوع من الاختلاف في الفقه والأحكام الشرعية لم يكن شراً، بل كان فيه خير كثير، فقد أثرى الشريعة الإسلامية ، وقد وقع هذا النوع من الاختلاف في سلف هذه الأمة ، ولايزال واقعا.

يقول القاسم بن محمد رحمه الله تعالى:" لقد نفع الله باختلاف أصحاب النبي ﷺفي أعمالهم لا يعمل العامل بعمل رجلٍ منهم إلا رأى أنه في سعة، ورأى أن خيرًا منه عمله".

وقال أيضا: " لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز: " ما أحب أن أصحاب رسول الله ﷺلم يختلفوا ، لأنه لو كان قولا واحدا كان الناس في ضيق، وإنهم أئمة يُقتدى بهم ، فلوا أخذ أحد بقول رجل منهم كان في سعة ".[1]

وهذا النوع من الاختلاف الذي وقع بين السلف كما يقول عنه السيوطي: " أن معظمه يرجع إلى اختلاف عبارة وتنوع، لا اختلاف تناقض وتضاد، فما كان من هذا القبيل فالجمع بينه سهل ميسور".[2]

وهذا النوع من الاختلاف الذي وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم والتابعين من بعدهم، إنما كان مرده إلى اختلافهم في فروع وجزئيات، وكان يعذر بعضهم بعضا، وهو اختلاف مقبول، لأنه اختلاف تقتضيه الطبيعة البشرية ، وتقبله النصوص الشرعية ، وقد وقع هذا الاختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم على عهد النبي ﷺ في مسائل عدة ، لكنه كان يؤول في معظمه إلى الوحي ، بإقرار النبي ﷺ للمصيب، وتصويبه للمخطئ، وبيانه ﷺ وجه الحق في المسألة.

وهذا النوع من الاجتهاد الذي وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم، في حياة النبي ﷺ، وبعد موته، وكان ذلك في مسائل معدودة، عُرفت عند العلماء، واستقصاها الكثير منهم.

1 -جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر ،ج:2-ص:98.
2- الإتقان في علوم القرآن .ج:2-ص:189.

يقول الزركشي: " اعلم أن الله لم يُنصب على جميع الأحكام الشرعية أدلة قطعية، بل جعلها ظنية قصدًا للتوسيع على المكلفين، لئلا ينحصروا في مذهب واحد بقيام الدليل القاطع".[1]

ويقول ابن تيمية: "وأما الاختلاف في الأحكام، فأكثر من أن ينضبط".[2]

ويقول الدكتور يوسف القرضاوي: " ولذا كان- وما زال -العلماء والفقهاء منذ عهد الصحابة ، وهم سادات المؤمنين، وأكمل الأمة إيمانا، إلى يومنا هذا يختلفون في الكثير من مسائل الأحكام، بل ما اختلفوا فيه فوق الحصر".[3]

**ب- الخلاف المذموم** :وهو ما خولف فيه الكتاب والسنة الصحيحة أو الإجماع ، فهو خلاف في القطعيات، وفي هذا النوع من الخلاف يقول الشافعي رحمه الله: " كل ما أقام الله به الحجة في كتابه، أو على لسان نبيه ﷺ منصوصا بيّنًا، لم يحل الاختلاف فيه لمن عَلِمه".[4]

وهذا النوع من الخلاف ورد النهي عنه في آيات كثيرة، وفي أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ.

منها قوله ﷻ: ((وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ)) [5]وقال أيضا : (( إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ))[6] ، وقال تعالى كذلك: ((وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ))[7]، وقال ﷺ: (( إن أمتي لا تجتمع على الضلالة ، فإذا رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم )) .[8]

---

1 - البرهان في علوم القرآن، ج:-ص:451.

2- مجموع الفتاوى .ج:24-ص:173.

3- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية .ص78: .

4- الرسالة . ص:560.

5 - سورة: الروم الآيتان:31.32

6 - سورة: الأنعام، الآية: 159

7 - سورة: آل عمران الآية :19

8 - شرح أصول اعتقاد أهل السنة للآلكائي . ج:1-ص:107

وقال النبي ﷺفي هذا النوع من الخلاف، وفي التحذير منه: (( إن بني إسرائيل افترقت على اثنتين وسبعين ملة، وإن أمتي ستفترق على مثلها كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة )).[1] و قال ﷺ: (( إن أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق ثلاثا وسبعين ملة، يعني الأهواء، كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة)).وقال ﷺ: (( إنه سيخرج في أمتي قوم يتجارى بهم الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه ، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله )) .[2]

إذن فهذا النوع من الخلاف الذي حذر منه النبي ﷺ أمته، والذي وقع في الأمم السابقة، هو اختلاف ناتج:

إما عن شهوة في نفس المخالف يريد إدخال شيء في الدين ليس منه، ويريد الطعن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، لأن الطعن في كتاب الله وتحريف معانيه طعن في الدين ، وإخراج لهذه الأمة عن المنهج الذي ارتضاه الله لها .

وإما أن يكون هذا الخلاف ناتج عن شبهة حدثت للمخالف، فخالف بقوله القول الصحيح، المبني على قواعد الاجتهاد المقبول، و طرق الاستدلال الصحيح عند علماء الأمة.

وقد نهى الله تعالى عن اتباع الهوى بغير دليل، فقال سبحانه: ((فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا))[3]، وقال سبحانه: ((قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ))[4]. وقال سبحانه: ((وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ))[5] ، وقد بين الله تعالى لعباده المنهج الصحيح لرفع هذا النوع من الخلاف، وذلك بالرد إلى كتاب

1 – الإبانة الكبرى لابن بطة ،ج:1–ص:283.
2 – شرح أصول السنة للآلكائي ،ج:1ص:154.
3 – سورة: النساء، الآية: 135
4 – سورة: الأنعام ،الآية: 56
5 – سورة: ص ،الآية :26

الله وسنة وسوله ﷺ، قال تعالى : ((فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا))[1]

## المبحث الثاني: أسباب الاختلاف في التفسير:

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي أدت إلى الاختلاف المذموم في التفسير:

### ❖ أولا: اتباع الهوى:

يعتبر اتباع الهوى من أعظم أسباب الخلاف العقدي في الأمة، وظهور الآراء المنحرفة، لهذا سمى العلماء أهل الفرق الضالة بأهل الأهواء والبدع، لأن اتباعهم للهوى كان السبب الرئيس في ابتداعهم في الدين، يقول ابن منظور: "وأهل الأهواء: واحدها هوى، وكل فارغ هواء، والهواء الجبان لأنه لا قلب له فكأنه فارغ، والواحد والجمع في ذلك سواء، وقلب هواء: فارغ، وكذلك الجمع، وفي التنزيل العزيز: – ((وأفئدتهم هواء))، وقال أبو الهيثم: ((وأفئدتهم هواء)) قال: كأنهم لا يعقلون من هول يوم القيامة".[2]

ويقول الشاطبي: " سمي الهواء هوى، لأنه يهوي بصاحبه إلى النار".[3] ولهذا ذم الله تعالى اتباع الهوى في كتابه العزيز، يقول عبد الله بن عباس ﷺ: " ما ذكر الله ﷻ الهوى في كتابه إلا ذمه ".[4] قال تعالى: ((أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا))[5]، وقال تعالى: ((أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً )) [6]، وقال تعالى: (( –إِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي

1 – سورة: النساء ، الآية: 59
2 – لسان العرب لابن منظور باب " هواء " ج: 15، ص: 371
3– الموافقات في أصول الشريعة ج:4 ، ص: 234
4 – الإبانة لابن بطة ج:1 ، ص:252
5 – سورة الفرقان، الآية: 43
6 – سورة الجاثية، الآية: 23

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) [1]ويقول تعالى لنبيه: ((وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُون ))[2].

يقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ( أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ)) أي: مهما استحسن من شيء ورآه حسنا في هوى نفسه، كان دينه ومذهبه".[3]

ومما ورد عن النبي ﷺ في ذم اتباع الهوى، قوله : ( إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة، وهي الجماعة، وإنه سيخرج في أمتي أقوام تجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله".[4]

و قال ﷺ: ( من دعا إلى هدى كان له الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا).[5]

كما وردت عدة أثار عن الصحابة والتابعين وعلماء الأمة السابقين في التحذير من أهل الأهواء والبدع ومجالستهم والاستماع إليهم، ومن ذلك قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "إن أخوف ما أخاف عليكم إتباع الهوى وطول الأمل، أما إتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة "، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "لا تجالس أهل الأهواء فإن مجالستهم ممرضة للقلوب".[6]وقال محمد بن علي: "لا تجالسوا

---

1 – سورة القصص، الآية: 50

2 – سورة المائدة الآية :49

3 –تفسير ابن كثير، ج:4، ص :113

4 – سنن أبي داود ح 3981، كتاب السنة، باب: "شرح السنة ". 196/2 – وأحمد في مسنده، ح: 16329 .292/34. وصححه الألباني في صحيح الجامع ،ح: 2641

5 – صحيح الإمام مسلم ح: 4831، كتاب :العلم، باب: " من سن في الإسلام سنة حسنة أو سيئة " 164/3

6 – الإبانة لابن بطة رقم: 371

أصحاب الخصومات فإنهم الذين يخوضون في آيات الله".[1]وعن أسماء بن عبيدٍ قال: "دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين فقالا: يا أبا بكر نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية من كتاب الله؟ قال: لا، لتقومان عني أو لأقومن، قال: فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر وما عليك أن يقرآ عليك آية من كتاب الله تعالى؟ قال: إني خشيت أن يقرآ علي آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي".[2]

وعن أيوب السختياني قال: قال لي أبو قلابة: "يا أيوب احفظ عني أربعا: لا تقل في القرآن برأيك، وإياك والقدر، وإذا ذكر أصحاب محمدﷺ فأمسك، ولا تمكن أصحاب الأهواء من سمعك فينبذوا فيه ما شاءوا ".[3]

وقال مطرف سمعت مالكا إذا ذكر عنده فلان من أهل الزيغ و الأهواء يقول: "قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده سنناً الأخذ بها إتباع لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله، ليس لأحد بعد هؤلاء تبديلها ولا النظر في شيء خالفها ، من اهتدى بها استنصر ومن انتصر بها فهو منصور، ومن تركها اتبع غير سبيل المؤمنين و ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً".[4]

وقال ابن عبد البر رحمه الله كذلك:" أهل الأهواء بئس القوم، لا يُسلّم عليهم، واعتزالهم أحب إلي".[5]

ولذلك سمى العلماء أهل البدع بأهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهوائهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها والتعويل عليها حتى يصدروا، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها من وراء ذلك، وأكثر هؤلاء هم أهل التحسين والتقبيح، ومن مال إلى الفلاسفة وغيرهم،

1 – ابن بطة في الإبانة رقم 383: . والدارمي في سننه .110/1

2 – سنن الدارمي ,ح:405 باب:" اجتناب أهل الأهواء " 440/1

3 – الإبانة لابن بطة ح:402 .ج:1– ص:414

4 –ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض .ج:1–ص:52

5 – الانتقاء لابن عبد البر، ص: 69

ويدخل في غمارهم من كان منهم يخشى السلاطين لنيل ما عندهم، أو طلباً للرياسة، فلا بد أن يميل مع الناس بهواهم، ويتأول عليهم فيما أرادوا، حسبما ذكره العلماء ونقله من مصاحبي السلاطين.

فالأولون ردوا كثيراً من الأحاديث الصحيحة بعقولهم، وأساءوا الظن بما صح عن النبي ﷺ، وحسنوا ظنهم بآرائهم الفاسدة، حتى ردوا كثيراً من أمور الآخرة وأحوالها من الصراط والميزان، وحشر الأجساد، والنعيم والعذاب الجسمي، وأنكروا رؤية الباري، وأشباه ذلك، بل صيروا العقل شارعاً جاء الشرع أو لا، بل إن جاء فهو كاشف لمقتضى ما حكم به العقل، إلى غير ذلك من الشناعات.

والآخرون خرجوا عن الجادة إلى البينات، وإن كانت مخالفة لطلب الشريعة، حرصاً على أن يغلب عدوه، أو يفيد وليه، أو يجر إلى نفسه نفعاً.[1]

فاتباع الهوى يجعل صاحبه يرفض الحق اتباعا لهواه، وتعصبا لرأيه، فلا يقبل من نصوص الوحي إلا ما عضد رأيه ووافق هواه، كما قال ابن القيم رحمه الله: "وأما المتعصبون فإنهم عكسوا القضية، ونظروا في السنة فما وافق أقوالهم منها قبلوه، وما خالفها تحيلوا في رده أو رد دلالته، وإذا جاء نظير ذلك أو أضعف منه سندا ودلالة وكان يوافق قولهم قبلوه، ولم يستجيزوا رده، واعترضوا به على منازعيهم، وأشاحوا وقرروا الاحتجاج بذلك السند ودلالته، فإذا جاء ذلك السند بعينه أو أقوى منه، ودلالته كدلالة ذلك أو أقوى منه في خلاف قولهم؛ دفعوه ولم يقبلوه".[2]

فصاحب الهوى يتناول النصوص بما يوافق هواه، وينتصر بها لمذهبه، فتتوسع هوة الخلاف، بسبب استعمال الهوى، في تفسير النص.

يقول ابن حجر رحمه الله: "ورد الروايات الصحيحة والطعن في أئمة الحديث الضابطين مع إمكان توجيه ما رووا من الأمور التي أقدم عليها كثير من غير أهل الحديث، وهو يقتضي قصور فهم من فعل ذلك منهم، ومن ثم قال الكرماني: لا حاجة

1 - الاعتصام للشاطبي .ص:386

2- إعلام الموقعين .ج1-ص:76

لتخطئة الرواة الثقاة بل حكم هذا حكم سائر المتشابهات، إما التفويض وإما التأويل".[1]

ويقول ابن تيمية رحمه الله: " أن مثل هؤلاء اعتقدوا رأيا ثم حملوا الفاظ القرآن عليه وليس لهم سلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا من أئمة المسلمين لا في رأيهم ولا في تفسيرهم وما من تفسير من تفاسيرهم الباطلة إلا وبطلانه يظهر من وجوه كثيرة، وذلك من جهتين تارة من العلم بفساد قولهم، وتارة من العلم بفساد ما فسروا به القرآن إما دليلا على قولهم أو جوابا على المعارض لهم ،ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة فصيحا ويدس البدع في كلامه وأكثر الناس لا يعلمون، كصاحب الكشاف ونحوه حتى إنه يروج على خلق كثير ممن لا يعتقد الباطل من تفاسيرهم الباطلة ما شاء الله ".[2]

فرد النصوص وعدم الاحتجاج بها، أو صرفها عن ظاهرها بالهوى والتأويل الفاسد من أهم سمات المبتدعة في الاستدلال على معتقداتهم الفاسدة، لذا كان لاتباع الهوى سبيل في ظهور كثير من البدع، والمعتقدات الفاسدة، بل إن الأمم السابقة كان افتراقهم، ورفضهم اتباع الرسل وتحريفهم لدين الله بسبب اتباع الهوى، يقول الله ﷻ: ((لقد أخذنا ميثاق بني إسرائيل وأرسلنا إليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ألا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد[3] ))

### ❖ ثانيا: الاعتماد على الإسرائيليات والموضوعات :

**1 – الإسرائيليات**: الأخبار المنقولة عن بني إسرائيل من اليهود وهو الأكثر، أو من النصارى، وتنقسم هذه الأخبار إلى ثلاثة أقسام:

**أ–** ما أقره الإسلام وشهد بصدقه، مثاله: ما رواه البخاري وغيره عن ابن مسعود ﷺ قال: ((جاء حَبرٌ منَ الأحبارِ إلى رسولِ اللهِ ﷺ فقال: يا محمدُ، إنا نَجِدُ: أنَّ اللهَ

1 – فتح الباري شرح صحيح البخاري ج:13، ص:491.
2 – مقدمة في أصول التفسير .ص :139
3 – سورة المائدة ، الآية : 70

يَجعَلُ السماواتِ على إصبَعٍ والأرَضينَ على إصبَعٍ، والشجرَ على إصبَعٍ، والماءَ والثَّرى على إصبَعٍ، وسائرَ الخلائقِ على إصبَعٍ، فيقولُ أنا المَلِكُ، فضحِك النبيُّ ﷺ حتى بدَتْ نَواجِذُه تَصديقًا لقولِ الحَبر ، ثم قرَأ رسولُ اللهِ ﷺ: ((وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ))[1]

**ب** – ما أنكره الإسلام وشهد بكذبه، فهو باطل: كقول اليهود: "إذا جامع الرجل زوجته من ورائها، جاء الولد أحول"، فنزلت: (نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ)[2].

**ج** – ما لم يقره الإسلام ولم ينكره، فهذا يجب التوقف فيه، لما رواه الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: (كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ((آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ))[3] )[4]. والتحدث بهذا النوع جائز، لقول النبي ﷺ: ((بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار))[5].

---

1 – أخرجه البخاري، كتاب: "التفسير"، باب :"وما قدروا الله حق قدره " ، الحديث رقم : 4811 – ومسلم، كتاب:"صفات المنافقين و أحكامهم"، باب: "صفة القيامة والجنة والنار"، الحديث رقم: 6781.

2 – البقرة الآية:223.

3 – العنكبوت الآية:24

4 – أخرجه البخاري، كتاب: "التفسير". باب: «قولوا آمنا بالله و ما أنزل إلينا"، الحديث رقم:4485.

5 – أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: "أحاديث الأنبياء صلوات الله عليهم"، باب: "ماذكر عن بني إسرائيل"، الحديث رقم: 3461. والترمذي في سننه، أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: "الحديث عن بني إسرائيل"، الحديث رقم: 2669. والإمام أحمد في المسند، مسند عبد الله بن عمرو، الحديث رقم: 7006.

✓ **موقف العلماء من الإسرائيليات:** اختلف موقف المفسرين من الإسرائيليات على ثلاثة أقسام:

– منهم من أكثر منها مقرونة بأسانيدها، ورأى أنه بذكر أسانيدها قد خرج من عهدتها، مثل ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى.

– ومنهم من أكثر منها، وجردها من الأسانيد غالبا، مثل البغوي رحمه الله تعالى الذي قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن تفسيره: "إنه مختصر من الثعلبي، لكنه خاصته عن الأحاديث الموضوعة والآراء المبتدعة، وقال الثعلبي: إنه حاطب ليل ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع "[1].

– ومنهم من ذكر كثيرا منها، وتعقب البعض مما ذكره بالتضعيف أو الإنكار مثل ابن كثير رحمه الله.

– ومنهم من بالغ في ردها ولم يذكر شيئا يجعله تفسيرا للقرآن كمحمد رشيد رضا، ومن ذلك ما ذكره في تفسير قوله ﷻ: ((قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ))[2]، حيث يقول الشيخ رشيد رضا رحمه الله: ( أما ما روي في التفسير المأثور من وصف هؤلاء الجبارين، فأكثره من الإسرائيليات الخرافية التي كان يبثها اليهود في المسلمين، فرووها من غير عزو إليهم كقولهم: "إن العيون الاثني عشر، الذين بعثهم موسى إلى ما وراء الأردن ليتجسسوا ويخبروه بحال تلك الأرض ومن فيها قبل أن يدخلها قومه، رآهم أحد الجبارين فوضعهم كلهم في كسائه، أو في حجزته"، وفي رواية: "كان أحدهم يجني الفاكهة، فكان كلما أصاب واحدا من هؤلاء العيون وضعه في كمه مع الفاكهة" ، وفي رواية: "أن سبعين رجلا من قوم موسى استظلوا في ظل خف رجل من هؤلاء العماليق". وأمثل ما روي في ذلك وأصدقه قول قتادة عند عبد الرزاق وعبد بن حميد

1 – مجموع الفتاوى، ج:13، ص: 304.
2 – المائدة، الآية: 22.

في قوله تعالى: ( إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ) (قال: هم أطول منا أجساما، وأشد قوة، وأفرطوا في وصف فاكهتهم، كما أفرطوا في وصفهم)[1]

✓ **ومن نماذج التفسير بالإسرائيليات المبثوثة في كتب التفسير:**

ما يذكره بعض المفسرين عن أصحاب الكهف، وأسماهم، وأسماء كلبهم ولونه، وكلها روايات واهية ساقطة سندا ومتنا، يقول سيد قطب رحمه الله: (ثم تجيء قصة أصحاب الكهف، فتعرض نموذجاً للإيمان في النفوس المؤمنة كيف تطمئن به، وتؤثره على زينة الأرض ومتاعها، وتلجأ به إلى الكهف حين يعز عليها أن تعيش به مع الناس. وكيف يرعى الله هذه النفوس المؤمنة، ويقيها الفتنة، ويشملها بالرحمة.

وفي القصة روايات شتى، وأقاويل كثيرة. فقد وردت في بعض الكتب القديمة وفي الأساطير بصور شتى. ونحن نقف فيها عند حد ما جاء في القرآن، فهو المصدر الوحيد المستيقن. ونطرح سائر الروايات والأساطير التي اندست في التفاسير بلا سند صحيح. وبخاصة أن القرآن الكريم قد نهى عن استفتاء غير القرآن فيها، وعن المراء فيها والجدل رجماً بالغيب)[2].

ويقول محمد أمين الشنقيطي: (واعلم أن قصة أصحاب الكهف وأسماءهم، وفي أي محل من الأرض كانوا، كل ذلك لم يثبت فيه عن النبي ﷺ شيء زائد على ما في القرآن، وللمفسرين في ذلك أخبار كثيرة إسرائيلية أعرضنا عن ذكرها لعدم الثقة بها)[3].

لقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها المفسِّرون عن أهل الكتاب وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيء في التفسير، ذلك لأن الأمر لم يقف على ما كان عليه في عهد الصحابة رضي الله عنهم، بل زادوا على ذلك فَرَوُوا كل ما قيل لهم إن صدقاً وإن كذباً، بل ودخل هذا النوع من التفسير كثير من القصص الخيالي المخترَع، مما جعل الناظر في كُتب التفسير التي هذا شأنها يكاد لا يقبل شيئاً مما جاء فيها، لاعتقاده أنَّ

1 – تفسير المنار، ج:6، ص: 274

2 – في ظلال القرآن، ج: 15، ص: 2260، 2261.

3 – أضواء البيان، ج: 3، ص:206.

الكل من واد واحد. وفى الحق أنَّ المكثرين من هذه الإسرائيليات وضعوا الشوك في طريق المشتغلين بالتفسير، وذهبوا بكثير من الأخبار الصحيحة بجانب ما رووه من قصص مكذوب وأخبار لا تصح، كما أن نسبة هذه الإسرائيليات التي لا يكاد يصح شيء منها إلى بعض من آمن مِنْ أهل الكتاب، جعلت بعض الناس ينظر إليهم بعين الاتهام والريبة[1].

وهكذا كان للروايات الإسرائيلية الأثر البالغ في ظهور الاختلاف المذموم بين المفسرين الذين يعتمدون النقولات الصحيحة في تفسير آيات القرآن الكريم، وبين المفسرين الذين يجمعون كل الروايات بدون مراعاة للصحة والتمحيص.

2 – **الموضوعات:** تعهد الله تعالى بحفظ كتابه من التحريف والتبديل، قال تعالى: ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ))[2]، فكان القرآن الكريم بمنأى أن تناله أيدي المغرضين، إلا أنهم وجدوا ضالتهم في السنة النبوية لكونها شارحة وموضحة للقرآن ومبينة لمعانيه، وعليه فإن نشأة الوضع في التفسير كانت مع نشأته في الحديث النبوي فظهرت في كتب التفسير الكثير من المرويات المكذوبة عن النبي ﷺ وعن الصحابة ﷺ، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: (لم يثبت عن ابن عباس ﷺ في التفسير إلّا شبيه بمائة حديث)[3] .

ويرجع الوضع في التفسير إلى أسباب متعددة منها: التعصب المذهبي، حيث نسب الشيعة إلى النبي ﷺ وإلى علي ﷺ وغيره من أهل البيت، أقوالا كثيرة في التفسير تروجا وتأكيدا لمذهبهم.

كما نجد من أسباب الوضع في التفسير، ما قصده أعداء الإسلام الذين اندسوا بين أبنائه متظاهرين بالإسلام، من الكيد له ولأهله، فعمدوا إلى الدس والوضع في

1 – التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ج: 1، ص: 130.

2 – سورة الحجر: 9.

3 – انظر الإتقان في علوم القرآن، ج: 2– ص: 1233.

التفسير بعد أن عجزوا عن أن ينالوا من هذا الذين عن طريق الحرب والقوة، أو عن طريق البرهان و الحجة، أو التحريف لكتاب الله فلجأوا إلى تحريف معانيه.[1]

✓ **ومن نماذج ما دخل في التفسير من الأحاديث الموضوعة :**

تفسير قوله تعالى: ((وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا)) [2]، أنها نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول وأصحابه، عن ابن عباس ﷺ: "نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه، وذلك: أنهم خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله ﷺ فقال عبد الله بن أبي: انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم، فذهب فأخذ بيد أبي بكر الصديقﷺ فقال: مرحبا بالصديق سيد بني تيم، وشيخ الإسلام، وثاني رسول الله في الغار، الباذل نفسه وماله. ثم أخذ بيد عمر ﷺ فقال: مرحبا بسيد بني عدي بن كعب، الفاروق القوي في دين الله، الباذل نفسه وماله لرسول الله. ثم أخذ بيد علي ﷺ فقال: مرحبا بابن عم رسول الله وختنه، سيد بني هاشم ما خلا رسول الله. ثم افترقوا. فقال عبد الله لأصحابه: كيف رأيتموني فعلت ؟ فإذا رأيتموهم فافعلوا كما فعلت فأثنوا عليه خيرا. فرجع المسلمون إلى النبي ﷺ وأخبروه بذلك. فأنزل الله هذه الآية[3]. قال ابن حجر رحمه الله: آثار الوضع عليه لائحة، وإسناده مسلسل بالكذابين.[4]

وكذلك ما رواه الإمام الطبري في تفسير قوله تعالى: ((وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا))[5]، قال: روى يزيد بن هارون عن محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن النبيﷺ قال: ما من زرع على الأرض ولا ثمار على الأشجار ولا حبة في ظلمات الأرض إلا عليها مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم رزق فلان بن فلان . [6]

1 – التفسير والمفسرون، د. محمد حسين الذهبي، ج:1– ص : 116.
2 – سورة البقرة الآية: 14
3 – أسباب النزول للواحدي، ص: 26 .
4 – الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني، ص: 175.
5 – سورة الأنعام الآية: 59
6 – تفسير الإمام الطبري، ج: 4، ص: 891.

### ❖ ثالثا: تقديم العقل على النقل:

ومن الأسباب التي أدت الاختلاف في التفسير لدى المبتدعة تقديمهم للعقل على النصوص الشرعية، ولهذا ردّوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة الصريحة، فردوا من أمور الآخرة كالصراط و الميزان، وحشر الأجساد، وأنكروا رؤية الله ﷻ ... وجعلوا العقل سلطان على النص.

يقول ابن تيمية: "ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم، وإنما يعتمدون على العقل واللغة وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث، وآثار السلف وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رءوسهم وهذه طريقة الملاحدة أيضا".[1]

### ❖ رابعا: الاجتهاد المذموم:

اهتم العلماء بالتأصيل لمبحث الاجتهاد، باعتباره من أهم المباحث في الشريعة الإسلامية -فالمجتهد يوقع عن الله ورسوله ﷺ- فوضعوا للاجتهاد شروط وضوابط، اتفقوا في بعضها واختلفوا في بعضها الآخر، وكل هذا من أجل أن لا يتسور محرابه من ليس أهلا للاجتهاد، ولم تتوفر فيه شروطه، فيسيئ من حيث يظن أنه يحسن صنعا، ويُدخل في الدين ما ليس منه، وهذا ما حذر منه الله تعالى في كتابه العزيز، وحذر منه النبي ﷺ في عدة أحاديث، ومن ذلك قوله تعالى: (وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2]، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ

1 - مجموع الفتاوى،ج: 7، ص: 119.

2 -سورة الأنعام: 153.

رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[1]، وقال ﷺ: (إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه أولئك الذين سماهم الله فاحذروهم)[2]، وقال ﷺ: (أنما هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب)[3].

فمن أهم الأسباب في ظهور البدع، دخول من ليس أهلا للاجتهاد ومن لم تتوفر فيه شروطه في سلك المجتهدين، أو اجتهاد في غير مواضع الاجتهاد، كالأصول الاعتقادية والأصول العملية، التي ثبتت بدليل قطعي الثبوت والدلالة.

يقول الشاطبي رحمه الله تعالى: (كل مسألة حدثت في الإسلام واختلف الناس فيها، ولم يورث ذلك الاختلاف بينهم عداوة ولا بغضاء ولا فرقة -علمنا أنها من مسائل الإسلام، وكل مسألة حدثت وطرأت، فأوجبت العداوة والبغضاء والتدابر والقطيعة- علمنا أنها ليست من أمر الدين في شيء، وأنها التي عنى رسول الله ﷺ بتفسير الآية، وذلك ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: "يا عائشة: (إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) من هم ؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: "هم أصحاب الأهواء، وأصحاب البدع، وأصحاب الضلالة من هذه الأمة"[4].

فيجب على كل ذي عقل ودين أن يجتنبها، ودليل ذلك قوله تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا )[5]، فإذا اختلفوا وتعاطوا ذلك كان لحدث أحدثوه من اتباع الهوى [6]

---

1 -سورة آل عمران: 7.

2 - أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، سورة آل عمران، باب: منه آيات محكمات، الحديث رقم: 4547 .33/6 – ومسلم في صحيحه، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن. 56/8.

3 - أخرجه مسلم في صحيحه، الحديث رقم: 2666، كتاب: العلم، باب: النهي عن اتباع متشابه القرآن، 2053/4.

4 - الحديث ذكره ابن كثير رحمه الله في تفسيره، و قال: وهذا رواه ابن مردويه، وهو غريب أيضا ولا يصح رفعه. 171/2.

5 - سورة آل عمران: 103.

6 -الاعتصام، ج: 2-ص: 232 .

**المبحث الثالث: أثر الاختلاف في العقائد في التفسير:**

لقد أدى هذا الاختلاف الذي وقع في الأمة بسبب ظهور الفرق إلى محاولة كل فرقة أن تنتصر لمذهبها، وأن تجد له مستندا شرعيا من نصوص القرآن والسنة[1].

يقول ابن تيمية رحمه الله : "وأهل البدع سلكوا طريقا آخر ابتدعوها اعتمدوا عليها، و لا يذكرون الحديث، بل ولا القرآن في أصولهم إلا للاعتضاد لا للاعتماد" [2]

ومن أمثلة هذا الأمر:

- استدلال بعضهم على الإمامة بقوله تعالى: ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ))[3]

فذهبوا إلى أن الآية تشير إلى أنه إذا كانت الإمامة مما قضى الله ورسوله تركه، فهي كغيرها من الوظائف الدينية التي قضيا بها ولم يتركها، فليس للناس الخيرة في نفيها أو إثباتها. مع أن مناسبة نزول الآية كان عندما أتى رسول الله ﷺ ( زينب بنت جحش يخطبها لزيد بن حارثه فاستنكفت منه، فأنزل الله هذه الآية ).

واستدلالهم على عصمة الإمام بقوله تعالى: ((إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ))[4]بأنها دليل قاطع على عصمة الإمام ، فقالوا : هذه الآية تدل على أن الإمام لا يكون إلا معصوما عن القبائح ، لأن الله سبحانه وتعالى نفى أن ينال عهده –الذي هو الإمامة– ظالم ، ومن ليس بمعصوم فقد يكون ظالم إما لنفسه وإما لغيره. والله سبحانه عصم اثنين فلم يسجدا لصنم قط وهما: محمد ﷺ، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فلأحدهما كانت الرسالة، وللآخر كانت الإمامة،

1 –منهج التلقي والاستدلال، أحمد بن عبد الرحمان الصويان. ص: 84

2 –منهاج السنة النبوية: ج:7، ص:37

3– سورة الأحزاب، الآية: 36

4 –البقرة، الآية: 124

فالإمام يجب أن يكون معصوما، لأنه لو جاز عليه الخطأ لافتقر إلى إمام آخر يسدده، فلم تستقم هدايته، ولم تتضح حجته، وكان كغيره من العلماء.[1]

- واستدلال بعضهم على تكفير مرتكب الكبيرة بلقوله تعالى: ((وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ)) [2] قالو: وكل مرتكب للذنوب فقد حكم بغير ما أنزل الله.

- وتفسير بعضهم قوله ﷻ: ((وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)) [3] بعلمه، وجاءوا على ذلك بشاهد وهو قول الشاعر :

* ولا بكرسي علم الله مخلوق *

وعند قوله تعالى: ((وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ))[4]، نجدهم يقولون إن النظر إلى الشيء في العربية ليس مختصا بالرؤية المادية ، فقالوا: إن المعنى: مترقبة ومنتظرة، يقول الزمخشري:"(( إلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ )) تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله: ((إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المستقر))، (( إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المساق))، (( إِلَى الله تَصِيرُ الأمور ))[5]، (( وإلى الله المصير))[6]، ((وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[7]، ((عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ))[8]، كيف دلّ فيها التقديم على معنى الاختصاص، ومعلوم أنهم ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر ولا تدخل تحت العدد في محشر يجتمع فيه الخلائق كلهم، فإنّ المؤمنين نظارة ذلك اليوم لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظوراً إليه: محال،

1 -أصول مذهب الشيعة الإمامية عرض ونقد د ناصر عبد الله بن علي القفاري، ج: 2، ص 787

2 -سورة: المائدة، الآية: 44

3 - سورة: البقرة، الآية: 255

4 - سورة: القيامة، الآيتان: 23/22

5 - سورة: الشورى الآية: 53

6 - سورة: آل عمران الآية: 28

7 - سورة: البقرة: 245

8 - سورة: هود: 88

فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص، والذي يصح معه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع والرجاء."[1]

هكذا يتضح لنا أن الاختلاف في العقائد كان له الأثر البارز على الجانب تفسير عند هذه الفرق .

**خاتمة**

- إن الاختلاف في فهم النصوص وقع في الأمة زمن النبي ﷺ وزمن الصحابة ﷺ، وفي القرون المفضلة، وكان الخلاف في ذلك مستساغا مقبولا، لأنه لا يعدو أن يكون اختلافا في فروع الشريعة وأحكامها الجزئية، واختلافا ناتجا عن اجتهاد مقبول، وهذا الاختلاف الذي وقع بين الصحابة رضوان الله عليهم، سواء في حياة النبي ﷺ أو بعد وفاته، كان اختلافا محمودا، له أسباب تبرره، ولم يؤد بهم إلى النزاع والشقاق، ولم ينكر بعضهم على بعض.

- الخلاف في العقائد لم يظهر من قبل الصحابة رضوان الله عليهم، وإنما ظهر بعد عصرهم، خصوصا بعد فتنة مقتل علي ﷺ، حيث ظهرت كثير من الفرق الكلامية.

- الاختلاف في العقائد كان له الأثر البارز على جانب التفسير عند هذه الفرق، فخالفوا جمهور المسلمين في كثير من المسائل، بسبب اعتمادهم على ظاهر القرآن، وعدم اعتمادهم على نصوص السنة الثابتة عن النبي ﷺ، بل أخذوا بالأحاديث الموضوعة والإسرائيليات، وقدموا العقل على النقل إلى غير ذلك من الأسباب التي أدت ظهور الاختلاف في التفسير.

1 – الكشاف، ج: 7، ص:190

## لائحة المراجع


- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية و مجانبة الفرق المذمومة للشيخ اللإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة .تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي ،دار الراية للنشر والتوزيع .، الطبعة الأولى 1409ه/1988م.
- الإتقان في علوم القرآن " جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي " ، دار الكتاب العربي .1416ه/1999م .
- أدب الاختلاف في الإسلام . "د طه جابر فياض العلواني " –سلسلة كتاب الأمة .9.الطبعة الأولى .
- فقه الاختلاف . "مجدي القاسم " ،دار الإيمان للطباعة والنشر والتوزيع ، الإسكندرية.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، "للشيخ محمد الأمين بن محمد المختارالجنكي الشنقيطي" .دار الفكر طبعة سنة 1415ه/1995م .
- الاعتصام "لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي "،دار ابن الهيثم – القاهرة الطبعة الأولى 1427ه/2002م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين "لابن القيم" دار الجيل ، بيروت لبنان.
- الاجتهاد في الشريعة الإسلامية ،" الدكتور يوسف القرضاوي "،مكتبة وهبة ، الطبعة الخامسة 1426ه/2005م.
- القاموس المحيط . للفيروز آبادي .دار الكتب العلمية .
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعيان مذهب مالك، "للقاضي عياض "طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامي ، الرباط.
- تفسير التحرير والتنوير ،" محمد الطاهر ابن عاشور " ، دار سحنون للطباعة والنشر .
- تفسير القرآن العظيم ،"للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي " ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،الطبعة الأولى1420ه/2000م .
- التفسير والمفسرون ."د. محمد حسين الذهبي" ، مكتبة وهبة ، الطبعة السابعة 1421ه/2000م .
- تفسير الطبري " جامع البيان عن تأويل آي القرآن "، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ، تحقيق أحمد محمد شاكر .محمود محمد شاكر. دار ابن الجوزي .
- تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المنار ، القاهرة 1366ه – 1947 .
- جامع بيان العلم وفضله ، لابن عبد البر .دار الفكر ، بيروت –لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان.
- درء تعارض العقل والنقل .لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم .

- دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ،د. ناصر بن عبد الكريم العقل .مركز دار إشبيليا ، الطبعة الأولى 1318ه/1998م.
- سنن أبي داود ،" سليمان بن الأشعث السجستاني" المكتبة العصرية للطباعة والنشر .
- سنن الترمذي " لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة " بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان.
- الرسالة للإمام الشافعي تحقيق محمد سيد كيلاني ، الطبعة الأولى القاهرة 1969م.
- سنن ابن ماجه ،" الحافظ أبو عبد الله محمد بن زيد القزويني " دار الجيل للطباعة والنشر .
- تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي ،" محمد بن عبد الرحيم المباركفوري "، دار الكتب العلمية.
- سنن الدارمي ، دار الفكر للطباعة والنشر .بيروت –لبنان.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة للآلكائي .
- صحيح الإمام مسلم ، تحقيق فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت –لبنان ، الطبعة الثانية 1972م.
- الجامع الصحيح للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري ، نشر المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع.
- صحيح الإمام مسلم بشرح النووي " للإمام محي الدين أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي " دار الذهبية للطباعة النشر والتوزيع.
- عقيدة العصمة بين الإمام والفقيه عند الشيعة الإمامية .د" محمد أحمد الخطيب ".مكتبة الأقصى ، عمان الأردن.
- عون المعبود شرح سنن أبي داود ، " لمحمد شمس الحق العظيم أبادي"، دار الفكر ، 1415ه/1995م.
- فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري ،" للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني " دار الريان للتراث ، سنة النشر 1407ه/1986م.
- الفرق بين الفرق " عبد القاهر بن طاهربن محمد البغدادي الأسفرائيني .ت469.تحقيق محيي الدين عبد الحميد .المكتبية العصرية .
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل . لجار الله أبي القاسم محمودبن عمر الزمخشري ، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود/ الشيخ علي محمد معوض.مكتبة العبيكان .الطبعة الأولى 1418ه/1998م.
- مجموع فتاوى ابن تيمية " تقي الدين ابن تيمية " ، مجمع الملك فهد ، سنة النشر 1416ه/1995م.

- المسند للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ،دار الحديث القاهرة. تحقيق أحمد محمد شاكر . الطبعة الأولى 1416ه/1995م.
- مع الإثني عشرية في الأصول والفروع .د" علي أحمد السالوس " ،دار الفضيلة بالرياض / دارالثقافة بقطر ، الطبعة السابعة 1424ه/ 2003م.
- مقدمة في أصول التفسير . لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم .
- منهاج السنة النبوية .لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد عبد الحليم ، تحقيق .د محمد رشالد سالم ، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- منهج التلقي والاستدلال ،" أحمد بن عبد الرحمان الصويان"سلسلة كتاب البيان ،1422ه/2001م.
- الاختلاف في أصول الدين .د إبراهيم بن محمد بن عبدالله البريكان.
- الموافقات في أصول الشريعة، "لأبي إسحاق الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي "، دار المعرفة بيروت –لبنان ،الطبعة السادسة 1425ه/2004م .
- الموضوعات ، الإمام أبى الفرج عبد الرحمن بن على بن الجوزي. وتحقيق عبد الرحمن محمد عثمان . المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .الطبعة الاولى 1388 ه – 1968 م.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من أحاديث سيد الأخيار،"محمد بن علي بن محمد الشوكاني "،مؤسسة التاريخ العربي .
- الوضع في الحديث، د "عمر بن حسن عثمان فلاته"، مكتبة الغزالي ،دمشق / مؤسسة مناهل العرفان ، بيروت ،طبعة :1401ه/1981م .